Nathan Weinstock, Le sionisme contre Israel (Paris, Francois Maspero, 1969).

يعتبر ناثان فاينشتوك من أبرز ممثلي اليسار الاسرائيلي وقد صدر له عن دار ماسبرو الفرنسية كتاب بعنوان « الصهيونية ضد اسرائيل » . ننشر فيما يلي ترجمة عن الفرنسية لدراسة اعدتها وارسلتها لنا لجنة فلسطين ــ بروكسل متهمة فيها المؤلف بتخليص الدعاية الصهيونية من مأزق صعب أوصلتها اليه المقاومة الفلسطينية . ان كتاب فاينشتوك ، كما يقول أصحاب هذه الدراسة ، « هو أداة شديدة التستر وشديدة الفعالية بيد الصهيونية » ذلك أنه في جوهره يتبنى نفس المقولات الصهيونية ويصوغها بشكل جديد تبدو عليها « نبرة الصدق ومظهر التماسك ولهجة الماركسية اللينينية » بينما هي في حقيقتها « صهيونية » و« تروتسكية » و« مناهضة للثورة الفلسطينية »ومؤيدة « لوجود اسرائيل كدولة » وتعترف « بالقومية الاسرائيلية » . وتجدر الاشارة هنا الى أن أصحاب هذه الدراسة (لجنة فلسطين ــ بروكسل) يتبنون مواقف الثورة الفلسطينية برمتها (تحرير كل فلسطين ــ دولة فلسطينية ديموقراطية واحدة ــ نضال مسلح طويل الامد ــ معاداة الامبريالية ...) وهذا ما يفسر نوعا ما موقفهم العنيف والعدائي من الكتاب المذكور وذهابهم الى حد اتهامهم مؤلفه بالعمالة للصهيونية والامبريالية ! ان من يقرأ هذه الدراسة النقدية لا يسعه الا تأييد ما جاء فيها خاصة وانها مدعومة بمقاطع كثيرة من الكتاب . الا انها مع ذلك تظل « دراسة » ناقصة تستمد خطوطها من « المغالطات » ، الكثيرة ولا شك ، التي وقع فيها المؤلف عن قصد وعن غير قصد فلا تتجاوز ذلك الى نظرة تقييمية نقدية شاملة للكتاب بكل ما فيه من حسنات ونقائص . انها « دراسة » تخضع للاعتبارات الايديولوجية قبل كل شيء ومن هنا محدوديتها وطابعها الخصامي الواضح .

منذ أكثر من سنتين بقليل صدر كتاب عن دار ماسبرو من ستمائة صفحة بعنوان « الصهيونية ضد اسرائيل » . وهذا العنوان يعكس المقولة التي يتبناها المؤلف والتي تتلخص في أن على « دولة اسرائيل » ألا تزول لكي تحل محلها دولة فلسطينية موحدة بل أن تستمر شرط أن تخلع عنها الطابع الصهيوني . هذه المقولة ، التي تتناقض بوضوح مع أفكار المقاومة الفلسطينية ، سبق وأن دافع عنها بحرارة ، وبشيء من التناسق ، الاسرائيلي أوري أفنيري في كتابه « اسرائيل بدون صهيونية » ، كما دافعت عنها أيضا ماتزبن ، المنظمة الاسرائيلية المعادية للصهيونية . وكذلك أيضا لجان « اسرائيل ــ فلسطين » الوهمية في أوروبا الغربية .

سيكون موضوع هذا البحث ، الذي لا يدعي انه يشكل نقدا كاملا تفصيليا ، الاشارة الى الجوانب الاكثر مغالطة في دراسة فاينشتوك . ان هذا الاخير يحاول ان يجعلنا نعتقد بادىء ذي بدء أنه « حتى عام ١٩١٤ كانت فلسطين ركنا مغمورا في الامبراطورية العثمانية وبلدا متخلفا وقليل السكان يرتكز اقتصادها على زراعة بدائية جدا . اما التجارة فقد كانت ذات طابع محلي صرف في حين ان الصناعة كانت عمليا معدومة . وفي الواقع فان المبادلات التجارية في هذا الاقتصاد « الطبيعي » بقيت بدون أية قيمة الى درجة انه لم تكن هنا اي طريق جديرة بهذا الاسم . وكان البدو الغزاة يترصدون المسافرين ولم تظهر أولى العربات الحقيقية التي تجرها الاحصنة الا في سنة ١٨٧٥ . وكانت القرى تعيش منغلقة على نفسها ، منعزلة ، بعيدة عن بعضها بعضا . وكانت يافا وعكا ، المرفأين البحريين ، تبدوان كمدينتين ميتتين » (ص ٦٣) . ويمكن ضم هذه التأكيدات الجازمة الى كثير غيرها كهذه مثلا: « بعد تفكك الامبراطورية العربية ، وجد البلد نفسه غير مأهول الى حد